

الدكتور عبد الرحمن منيف

في روايته الجديدة

النهايات

« الطبيعة » حلّ فيها القحط ، واذا جفّت السماء وأمحلت الارض ، راح اناس يبحثون عن الحيوان والطيور أكثر مما كانوا فيما مضى يبحثون ، وغدا للصيد قيمة مراسيمية ، لا يستدرّ الخير منه الا ولقوى الشر مكان فيه ، وتصبح لعلاقات الانسان بالحيوان والطيور معان خارقة وتفصح الطبيعة عن علاقات توازنها أو تناقضها بين الحيوانات والطيور أنفسها ، واذا الانسان والحيوان يتبادلان الرمز ، ويتبادلان المعنى ، كما اكتشفت البشرية منذ أن وعت وجودها في عالم دقيق التوازن سهل الاضطراب ، حيث النهايات تستبد على طريقتها بالانسان والحيوان ، وقد تكشف عن سمو في حسّ الفجاعة لدى الحيوان لا يخطر ببال الانسان .

حلّ القحط في الطبيعة ، فتم ذلك الاستقطاب الرهيب الذي هو ضرب من الجنون ، وسوف يقابله هوج ماحق تنفجر به الطبيعة ، لتقتل بالذات ذلك الذي كان أشد الناس تقديسا لشرائعها . واذا يحاسب أهل القرية أنفسهم في حكايات عجيبة كان لا بد لذلك الذي أصبح بطلا وضحية معا من أن يكبر ويشخ حتى درجات القدسية ، فتؤخذ القرية بجنون الفاجعة لعلها تؤدي بها بعد هاتيك النهايات كلها ، الى طريق الخلاص الواحدة - لعلّ الانسان ينجو من جديد .

كيفما تقرأ هذه الرواية ، فأنت باستمرار تتحرك في خطوط تتوازي فيها الوقائع والرموز . وهي على مستواها الوقائعي تعود بك الى تجربة أهل الطبيعة انتماءهم الى الجذور ، وذهولهم الدائم ازاء الحب والموت . وهي على مستواها الرمزي تعود بك الى اكتشاف الانسان ، أينما كان ، انتماءه الى هذه القوى السرية الغامضة في الكون التي تجعل من الحب والموت أعنف وأخصب ما في الطبيعة كلها .